كَيفَ نُصَادِقُ أَولَادَنَا؟

تأليفُ الباحثةِ والمستشارةِ التربويّة

مياسة شبع

مَركزُ الجوادينِ للإرشادِ الأُسريّ

الأَمانةُ العامّةُ للعتبةِ الكاظميّةِ المقدّسة

كتيب: كَيفَ نُصَادِقُ أَوْلَادَنَا ؟

تأليف وإعداد: المستشارة التربوية مياسة شبع

تصميـــم: مياسة شبع

النـــاشر:

الطبعـــة:

عدد الصفحـات: ٥٠ صفحة

مَرْكَزُ الجَوَادَيْنِ لِلإِرْشَادِ الأُسَرِي التَّابِعُ لِلأَمَانَةِ العَامَّةِ لِلْعَتَبَةِ الكَاظِمِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

ershadaljawadain@gmail.com

٠٠٩٦٤٧٧٧٣١٩٠٣٣٣

كَيفَ نُصَادِقُ أَولَادَنَا؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مُحْتَوَيَاتُ الكُتَيِّبِ

المُقَدِّمَةُ ٦

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: الصَّدَاقَةُ الأُبُوِيَّةُ فِي مِيزَانِ الشَّرِيعَةِ ٧

المَبْحَثُ الثَّانِي: كَيْفَ نُصَادِقُ أَوْلَادَنَا؟ ١٣

١. دَاوِمْ عَلَى اصْطِحَابِهِ ١٤

٢. عَبِّرْ عَنْ حُبِّكَ لَهُ ١٦

٣. كُنْ أَهْلًا لِثِقَتِهِ ١٨

٤. أَتْقِنْ فَنَّ النَّصِيحَةِ ٢١

٥. تَجَنَّبِ الْغَضَبَ فِي تَعَامُلِكَ ٢٥

٦. أَرِهِ اهْتِمَامَكَ ٣٠

٧. شَارِكْهُ مَوَاهِبَهُ وَأَلْعَابَهُ ٣٢

٨. كُنْ حَافِظًا لَهُ ٣٥

٩. تَجَنَّبِ انْتِقَاصَهُ ٣٨

١٠. اسْتَشِرْهُ وَشَارِكْهُ الْقَرَارَ ٤٤

الخَاتِمَةُ ٤٨

الهَوَامِشُ ٤٩

المُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد وعلى آله أجمعين الطيبين الطاهرين.

تعد الصداقة بين الوالدين والأبناء أساسًا مهمًا في بناء شخصية الأبناء وتعزيز ثقتهم بأنفسهم. فالعلاقة بينهما لا تقتصر على التوجيه، بل تقوم على الحب والاحترام والتفاهم، مما يمكنهم من التعبير بثقة وراحة.

ينطلق هذا الكتيب من أهمية الصداقة الأبوية في الشريعة، موضحًا أسسها وفق تعاليم الإسلام، مع طرح خطوات عملية تساعد الوالدين في بناء علاقة قائمة على الثقة والمحبة، مثل: اصطحاب الأبناء، وإظهار الحب، وتجنب الغضب، ومشاركتهم اهتماماتهم، واستشارتهم.

نأمل أن يكون هذا الكتيب مرشدًا عمليًا للوالدين في تعزيز علاقتهم بأبنائهم، وتنشئة جيل متوازن نفسيًا واجتماعيًا.

المبحث الأول

الصداقة الأبوية في ميزان الشريعة

عند التأمل في الروايات التربوية لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، نجد أنها تؤكد على أهمية مصاحبة الأبناء، خصوصًا في مرحلة المراهقة. فقد ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «دع ابنك يلعب سبع سنين، وألزمه نفسك سبعاً، فإن أفلح وإلا فإنّه ممّن لا خير فيه».[1]

في هذا الحديث الشريف، يرسم لنا الإمام منهجًا تربويًا متكاملًا، يحدد الأسلوب الأمثل في التعامل مع الأبناء وفق مراحلهم العمرية. فمرحلة الطفولة المبكرة هي مرحلة لعب، حيث يكون الطفل غير مميز، لذا ينبغي تركه لينمو في بيئة مليئة بالفرح والاكتشاف. ثم، مع وصوله إلى سن التمييز، تبدأ مرحلة التأديب والتوجيه، كما يشير الإمام بقوله: «ويؤدب سبعًا»، أي نغرس فيه القيم الأخلاقية والتربوية، لا سيما القيم الإسلامية.

أما في سن المراهقة، فيوصينا الإمام بملازمة الابن، حيث يقول:«وألزمه نفسك سبع سنين »، في اللغة العربية، الفعل «ألزم» يأخذ معنى الإلزام والإجبار على فعل شيء معين، وعندما نقول «ألزمه نفسه»، فهذا يعني جعله مقترنًا به وملازمًا

له بشكل دائم.

مثال: «ألزم الطالب معلمه»: أي جعله رفيقًا لمعلمه ومواظبًا على التعلم منه. «ألزمه بيته»: أي جعله ملازمًا لبيته دون خروج.

وفي الحديث، «وألزمه نفسك سبع سنين»، تعني: اجعل نفسك مرتبطة به ولا تفارقه طيلة هذه المدة. أي أن العلاقة في هذه المرحلة يجب أن تتحول إلى مصاحبة، فيكون الأب أو الأم قريبًا من المراهق كالصديق والمرشد.

وقد أكد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على هذا الأسلوب التربوي في حديث آخر بقوله:«لاعب ابنك سبعًا، وأدبه سبعًا، وصاحبه سبعًا».[٢] وهنا يكمن السر في نجاح العلاقة بين الآباء والأبناء، فالمراهق يحتاج إلى من يفهمه، لا من يفرض عليه الأوامر والتوجيهات فقط. إن جعله يشعر بأن والديه هما أقرب الناس إليه، يمنحه الأمان النفسي ويحدّ من تأثير البيئة الخارجية عليه. لكن يجب أن نعرف أنّ الصداقة ليست مجرد عنوان، بل لها مستويات. فقد صنف الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الأصدقاء إلى نوعين، بقوله: «اَلْإِخْوَانُ صِنْفَانِ إِخْوَانُ الثِّقَةِ وإِخْوَانُ الْمُكَاشَرَةِ».[٣]

فإخوان المكاشرة هم الذين تجمعنا بهم علاقة سطحية، قائمة على المجاملة والمصالح العابرة، أما إخوان الثقة فهم من نبوح لهم بأسرارنا، ونلجأ إليهم في أوقات الحاجة. ومن هنا، لا يكفي

أن يكون الأب أو الأم مجرد «صديق مكاشرة» مع المراهق، بل يجب أن يسعيا ليكونا «صديق ثقة»، يشعره بالأمان والاحتواء، فيكونان المرجع الأول له بدلًا من أن يبحث عن ذلك في أوساط أخرى قد لا تكون آمنة.

إن هذا المفهوم التربوي العميق الذي قدمه أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، يتفق مع ما توصلت إليه الدراسات التربوية الحديثة، التي تؤكد أن أفضل طريقة للتعامل مع المراهقين هي مصادقتهم ومشاركتهم اهتماماتهم، بدلًا من معاملتهم بسلطة جامدة تقود إلى التمرد أو النفور. فكلما كانت العلاقة قائمة على الثقة والاحترام المتبادل، زاد تأثير الآباء على أبنائهم، وكانوا أكثر قدرة على توجيههم نحو الصواب.

رب تساؤل يردّ: لماذا التأكيد على الصداقة؟

الجواب: لأن رابطة الصداقة تفوق في تأثيرها كل الروابط الأخرى، فهي أقوى من رابطة الأمومة، وأشد من رابطة الأبوة، وأعمق من رابطة الأخوّة والقرابة. ولهذا، لا ينبغي أن يستغرب الآباء عندما يرون أبناءهم يتأثرون بأصدقائهم أكثر مما يتأثرون بهم، فالصداقة ليست مجرد علاقة عابرة، بل هي وحدة روحية تتجاوز الجسد، كما يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «الْأَصْدِقَاءُ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ فِي جُسُومٍ مُتَفَرِّقَةٍ».(٤)

إنّ الصداقة المتينة تؤثر في سلوك الإنسان وتشكّل شخصيته، فهي تترك أثرًا عميقًا في فكره وتصرفاته، ولذا أكدت النصوص الشرعية على أهمية اختيار الصديق الصالح، لما للصداقة من دور جوهري في توجيه الإنسان نحو الصلاح أو الانحراف. فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من خير حظّ المرء قرين صالح، جالس أهل الخير تكن منهم» [٥]، وروي عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «صحبة الأخيار تكسب الخير، كالريح إذا مرت بالطيب حملت طيبا». [٦]

وكثيرًا ما نسمع عن آباء وأمهات يشكون من تغيّر سلوك أبنائهم بعد مصادقتهم لأصدقاء غير صالحين، حيث يتحوّل الولد من الطاعة إلى العقوق، ومن الالتزام إلى التهاون، ومن الصلاة إلى تركها. وعلى الجانب الآخر، نجد أن الشاب الذي نشأ في بيئة غير ملتزمة لكنه ارتبط بصديق صالح، سرعان ما يتأثر به ويصبح أكثر التزامًا واستقامة.

من هنا، فإن الحل الأمثل لا يكمن فقط في تحذير الأبناء من رفاق السوء، بل في بناء علاقة صداقة قوية معهم تجعلهم يتأثرون بوالديهم الصالحين أكثر من تأثرهم بغيرهم.

والصداقة ليست حكرًا على الغرباء كزملاء الدراسة أو العمل، بل قد تنبع من أقرب الروابط الإنسانية، حيث يمكن أن يكون

الصديق الحقيقي الأب، أو الأم، أو الأخ أو الأخت. فعندما تمتزج رابطة القرابة بروح الصداقة، تتجلى أسمى معاني الود والتآلف، وتتحول العلاقة الأسرية إلى مساحة من الثقة والاحتواء. قيل لأحد الحكماء: «أيّما أحبّ إليك، أخوك أم صديقك؟ فقال: إنّما أحبّ أخي إذا كان صديقاً لي».[٧]

قد تقول الأم بمرارة: «أنا أتعامل مع ابني كصديقة، لكنني أراه ينجرف مع رفاق السوء بدلًا من التأثر بي! فأنا أحرص على التمسك بتعاليم الدين، أصلي في وقتها، لا أسمع الأغاني، أبر والديّ، وألتزم بالحجاب الشرعي والعفة، ومع ذلك، ابني وابنتي يخالفانني تمامًا! لا يباليان بالصلاة، ينغمسان في سماع الأغاني، لا يبراني، وابنتي متبرجة... كأن صداقتي معهما لم تُجدِ نفعًا»!

لكن عند التعمق في العلاقة، يتضح أنها ليست صداقة حقيقية، بل علاقة تقوم على الأوامر الصارمة دون مساحة للحوار والتفاهم. بل بعض المراهقين يشبهون الأوامر التي يتلقاها من الوالدين بالأوامر التي يتلقاها الجندي من قائده في معسكر التدريب؛ وسبب ذلك أن الأم لم توازن بين الحزم والحنان في تعاملها مع أبنائها. فلا تزال تُمارس الأوامر الصارمة دون مساحة للحوار، وتنزع إلى الانفعال ورفع الصوت، وربما التوبيخ، معتقدة أن هذا الأسلوب سيجعل أبناءها أكثر طاع

وهنا يكمن الخطأ الجوهري، فالصداقة لا تُبنى بالقهر، ولا تُزهر في بيئة يسودها التسلط والانفعال. تأملي لو أن صديقتكِ المقرّبة صرخت في وجهكِ أو أهانتكِ، هل كنتِ ستشعرين بالقرب منها أم بالنفور؟ هل كنتِ ستتمسكين بها أم تبحثين عن بديل أكثر تفهّمًا؟ كذلك هو حال ابنكِ، إن أردتِ أن يكون قريبًا منكِ كصديق، فعامليه كما تحبين أن تعاملكِ صديقتكِ، بحبٍّ واحترام، لا بأوامر صارمة وانفعالات قاسية. وحين يجد الابن في والديه أو أحدهما صديقًا حقيقيًا يصغي إليه، يفهم مشاعره، ويشاركه اهتماماته، فإنه سيشعر بالأمان والطمأنينة، ولن يكون بحاجة إلى البحث عن بدائل خارج الأسرة. لذا، فإن التربية لا تكتمل إلا عندما يُحسن الآباء تحقيق التوازن بين دورهم كموجهين ودورهم كأصدقاء مقربين، مما يحوّل العلاقة من مجرد أوامر ونواهٍ إلى رابطة قائمة على الحب، الاحترام، والتأثير العميق. إذن، المشكلة الأساسية تكمن في أن الكثير من الآباء والمربين لا يدركون متطلبات بناء صداقة حقيقية مع أبنائهم، ولا يعرفون الحقوق التي يجب مراعاتها للحفاظ على علاقة قائمة على الثقة والاحترام. ولهذا، سنتناول هذه الأسس المهمة بالتفصيل في المبحث التالي، متطرقين إلى المبادئ الجوهرية التي تجعل الصداقة بين الوالدين والأبناء رابطة قوية تُثري العلاقة الأسرية بدلًا من أن تكون مجرد شعار فارغ لا أثر له في الواقع.

المبحث الثاني

كيف نصادق أولادنا؟

لكي نكسب صداقة أبنائنا ونصبح لهم أصدقاء ثقة، هناك مجموعة من المبادئ الأساسية التي يجب على المربي الناجح التأمل فيها جيدًا، والسعي لتطبيقها في تعامله مع ولده. معظم هذه الأسس مستمدة من المنهج التربوي لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الذين أكدوا أن أفضل طريقة للتأثير في الأبناء هي مرافقتهم، والاستماع إليهم، وإشعارهم بالأمان والثقة. ومن أهم هذه الأسس:

١. دَاوِمْ عَلَى اصْطِحَابِهِ

الصداقة لا تتحقق بمجرد الأحاديث العابرة، بل تتطلب مرافقة حقيقية وتفاعلًا مباشرًا. وقد أكد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على ذلك بقوله: «وصاحبه سبعًا[٨]»، مما يدل على أهمية الاقتراب من الأبناء ومشاركتهم تفاصيل الحياة اليومية.

في معجم اللغة العربية المعاصرة الالكتروني يُعرَّف: (صحِب الشَّخصَ (أي لازَمَهُ، رَافَقَهُ، عَاشَرَه، أي أن الصديق الحقيقي لا يترك صاحبه، بل يحرص على قضاء الوقت معه. وهذا ينطبق أيضًا على العلاقة بين الأب والأم مع أبنائهم، فإذا أراد الأب أن يكون صديقًا لابنه، فعليه أن يحرص على اصطحابه معه في مختلف أنشطته، مثل: التسوق، زيارة الأهل، حضور المناسبات الدينية، الصلاة في المسجد، أو حتى المشي في الحي. والأمر نفسه ينطبق على الأم، إذ ينبغي عليها أن تصحب ابنتها معها في مختلف نشاطاتها، مثل: التبضع، زيارة الأرحام، حضور المجالس، أو القيام بأعمال المنزل، فبهذه الطريقة، يشعر الابن أو الابنة أن وجودهم مهم في حياة والديهم، مما يعزز العلاقة بينهم.

أمثلة واقعية:

- الأب الذي يتسوق مع ابنه: بدلًا من أن يترك الأب ابنه في المنزل، يمكنه أن يأخذه معه إلى السوق، يستشيره في اختيار

المنتجات، ويتبادلان الحديث خلال الطريق. مثلًا، يمكن أن يقول له: «ما رأيك، هل نشتري هذا النوع من الفاكهة أم ذاك؟ أيهما تفضل؟»، فيشعر الابن بأن رأيه مهم، مما يعزز ثقته بنفسه ويقوي العلاقة بينهما.

- الأم التي ترافق ابنتها إلى المناسبات الدينية: عندما تصطحب الأم ابنتها إلى مجلس عزاء أو زيارة مرقد أهل البيت عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، يمكنها أن تجعل التجربة مميزة عبر الحوار معها حول معاني المناسبة، أو أن تشاركها مشاعرها الروحية، فتشعر الفتاة بأنها جزء مهم من هذه التجربة، مما يقوي علاقتها بأمها ويجعلها أكثر تقبلًا لتوجيهاتها.

٢.عَبِّرْ عَنْ حُبِّكَ لَهُ

الحب هو الأساس الأول لأي صداقة حقيقية، فكما لا يمكن للإنسان أن يتخذ صديقًا لا يكنّ له مشاعر المودة، كذلك لا يمكن للمربي أن يكسب صداقة ولده ما لم يشعره بمحبة صادقة وواضحة. وقد أشار الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى هذه الحقيقة بقوله:«وسُمّوا أصدقاءً لأنَّهم تصادَقوا حقوقَ المودّةِ»[٩]، فالمودة ليست مجرد مشاعر داخلية، بل هي إظهار الحب بالقول والفعل، بحيث يشعر الابن أنه محبوب، لا بمجرد العاطفة الصامتة، بل بالتعبير عنها بطرق مختلفة.

لكن الواقع يكشف أن بعض المربين لا يظهرون حبهم لأولادهم، بل يحتفظون به في قلوبهم دون أن يعبّروا عنه، بينما يغلب على تعاملهم إعطاء الأوامر، الغضب، التوبيخ، التفرقة بين الأبناء، أو حتى مقارنتهم بغيرهم. والنتيجة أن الأبناء يتلقون رسالة خاطئة مفادها :«أنكم لا تحبونهم»، وهذه واحدة من أكثر العبارات التي يرددها الأبناء عند استشارتهم نفسيًا أو تربويًا. بل إن بعض المربين يزيدون الطين بلة حين يقولون صراحة لولدهم:« أنا لا أحبك لأنك عاصٍ»، وهذه من أكثر العبارات تدميرًا لنفسية الابن، لأنها تربطه شرطيًا بين قيمته الذاتية وسلوكه، مما قد يدفعه للتمرد أو الانغلاق على نفسه.

كيف نظهر محبتنا لأولادنا؟

يجب أن نفرّق بين محبة الابن وبين رفض السلوك الخاطئ، بحيث لا يشعر المراهق أن أخطاءه تقلل من محبة والديه له. فبدلًا من القول:« أنا لا أحبك لأنك فعلت ذلك»، يمكن استبدالها بـ :« أنا أحبك كثيرًا، لكني لا أحب هذا السلوك، وأتمنى أن تتجاوزه». هذه الطريقة تجعل الابن يشعر بالأمان العاطفي، مما يجعله أكثر تقبلًا للتوجيه. ثم أكدت الشريعة الإسلامية على أهمية التربية بالمحبة، حيث لا يكفي أن نحب أبناءنا في قلوبنا، بل يجب أن نظهر ذلك بوضوح من خلال:

✓ الاحتضان والتقبيل: فقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقبّل الحسن والحسين أمام الصحابة، فيغرس بذلك مفهوم المحبة العملية.

✓ الكلمات الدافئة: كأن يقول الأب لابنه:« أحبك يا بني، أنت قطعة من قلبي»، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يفعل ذلك مع ابنته فاطمة حينما يقول:« فاطمة بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي».[١٠]

✓ الوفاء بالوعد: عندما يَعِد الأب ابنه بشيء ثم يفي بوعده، فإن ذلك يشعره بأهميته عند والديه.

✓ الاحترام في التعامل: كأن يُستمع لرأيه ويُشعر بأنه ذو قيمة، حتى في أبسط الأمور.

◆ مثال: الأب الذي يعبّر عن حبه دون شروط :تخيل أبًا يقول لابنه: «أنا أحبك يا بني، لكني حزين لأنك أهملت دراستك اليوم، وأتمنى أن تجتهد أكثر»، مقارنة بأب آخر يقول له:« أنا لا أحبك لأنك فاشل في دراستك». الفرق شاسع بين العبارتين، الأولى تجعل الابن يفكر في تحسين سلوكه دون أن يشعر بأنه منبوذ، أما الثانية فتؤدي إلى تدمير ثقته بنفسه.

٣.كُنْ أَهْلًا لِثِقَتِهِ

الثقة هي الركن الأساسي في أي علاقة صداقة حقيقية، فلا يمكن أن يقيم الإنسان علاقة صداقة متينة مع شخص كاذب أو خائن للأمانة. فالصديق الحقيقي هو الذي يلتزم بالصدق والوفاء، ويمنح صاحبه شعورًا بالأمان والطمأنينة. وقد أكد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أهمية هاتين الصفتين بقوله: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء

الأمانة »[١١]، وكذلك في العلاقة بين الوالدين وأبنائهم، فإن الأب أو الأم إذا أرادا أن يكونا صديقين لأبنائهما، فيجب أن يكونا مصدرًا للثقة، لا للتناقض والخداع. فكيف يمكن للأب أن يطلب من ابنه الصدق، وهو نفسه يكذب عليه في بعض المواقف؟ وكيف للأم أن تتوقع من ابنتها أن تحفظ الأمانة، وهي لا تفي بوعودها معها؟ إن الطفل والمراهق يلاحظان أفعال والديهما أكثر من أقوالهما، فإذا وجدوا أن المربي غير صادق أو لا يفي بوعده، فسوف يتعاملون معه كـ: «أب وأم» فقط، وليس كصديقين موثوقين.

السؤال المطروح هنا: كيف يبني المربي الثقة مع ولده؟

على المربي أن يتصف بصفات عديدة، من أبرزها الآتي:

✓ أن يكون صادقًا في وعوده: فإذا وعد الابن بشيء، فلا يخلف بوعده إلا لعذر واضح.

✓ أن يكون أمينًا في تصرفاته: يلتزم بالأمانة في أقواله وأفعاله، فلا يخدع ابنه أو يغشّه، لأن الأبناء يتعلمون القيم من سلوك والديهم، فإذا وجد الابن والده أمينًا في أفعاله، زادت ثقته به وتعلّم منه الصدق والأمانة.

✓ أن يكون واضحًا في حديثه: لا يقول كلامًا ثم يتراجع عنه،

لأن ذلك يهزّ صورة المربي في نظر الابن.

✓ أن يحفظ أسرار الابن: فإذا أخبره الابن بأمر خاص، فلا يفشيه أمام الآخرين، حتى لا يشعر الابن بالخيانة.

مثال: الأم التي تفشي أسرار ابنتها: عندما تخبر الفتاة أمها بسرّ يخصها، ثم تكتشف أن أمها نقلت الحديث إلى خالتها أو إحدى صديقاتها، فإنها ستفقد الثقة بها، وربما تتجنب مشاركتها بأسرارها لاحقًا. على العكس، عندما تشعر بأن والدتها تحفظ سرّها، فإنها ستعتبرها ملجأها الأول عند الحاجة.

٤. أَتْقِنْ فَنَّ النَّصِيحَةِ

الصديق الحقيقي ليس من يجامل صديقه، بل من يكون له مرآة صادقة، تكشف له محاسنه وتلفت نظره إلى عيوبه بحب وحرص. فلو كان صديقي يرى عيبًا فيّ ثم سكت ولم ينصحني، سأشعر بالحزن، لأن ذلك يعني أنه لا يهتم لأمري حقًا. ولهذا، عدّ الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ النصح أحد أركان الصداقة، حيث قال:« إنَّما سميَ الصديق صديقاً لأنَّه يصدقك في نفسك ومعايبك؛ فمن فعل ذلك فاستنم إليه فإنه الصديق».[١٢]

لكن كثيرًا ما يشتكي المربون من أن أولادهم لا يتقبلون النصيحة، رغم تكرارها لهم! وهنا المشكلة ليست في النصح بحد ذاته، بل في الطريقة والأسلوب.

الخطأ الأكثر شيوعًا: تقديم النصيحة بأسلوب الأوامر

إن أغلب المربين ينصحون بأسلوب التوجيه المباشر والأوامر الصارمة، مثل:«افعل، لا تفعل، ابتعد عن كذا، التزم بكذا». لكن المراهق ليس طفلًا صغيرًا بعد الآن، ولن يتقبل أن يعامَل كأنه يتلقى «محاضرة» في كل مرة. فكما أن الإنسان ينزعج عندما يُكرر عليه كلام نفس الشخص مرارًا، فإن المراهق أيضًا يشعر بالملل والنفور عندما يُنصح بنفس الأسلوب الجاف والمباشر.

مثال: تخيل أنك مشغول بإعداد الطعام أو بالعمل، ثم فتحت مقطع فيديو على «تيك توك» أو «يوتيوب» لشخص يلقي نصيحة أعجبتك. بعد انتهاء المقطع، يُعاد تشغيله تلقائيًا. في البداية قد لا تمانع سماعه مرة ثانية، لكن مع التكرار، ستشعر بالملل وتنزعج، وربما تغلقه تمامًا!

هذا بالتحديد ما يحدث مع أبنائنا، عندما نقدم لهم النصيحة بنفس الطريقة التقليدية كل يوم، فهم لا يرونها إلا كـ: «إعادة مملة» لكلام قد سمعوه مسبقًا. أذن ما الحل؟

◆ أن نتفاهم بالحوار بدلًا من الأوامر

حتى تكون النصيحة فعالة، يجب أن تقدم في إطار الحوار الهادئ المبني على التفاعل والاحترام، وليس بمنطق «السيد والعبد». ولتحقيق ذلك، ينبغي مراعاة أربع نقاط أساسية:

◆ أن يكون الحوار تبادليًا، وليس باتجاه واحد: يجب أن لا يكون المربي هو المتحدث الوحيد، بل يجب أن يتيح للابن التعبير عن رأيه بحرية. فالاستماع للابن يعزز لديه الثقة بالنفس، والقدرة على اتخاذ القرار، وتنمية ذكائه الاجتماعي. وقد خلق الله أذنين ولسانًا واحدًا لحكمة، منها أن نستمع أكثر مما نتكلم.

مثال: إذا رفض ابنك الذهاب إلى المسجد، لا تكتفِ بقول

:«يجب أن تذهب لأنه واجب». بل اسأله بهدوء :«لماذا لا ترغب في الذهاب؟»، أو «ما رأيك في الصلاة؟»، أو «هل هناك شيء يزعجك في المسجد؟»، ثم استمع إليه بإنصات حقيقي.

◆ تقديم النصيحة بأسلوب مقنع، لا مجرد أوامر: بدلًا من أن نقول للبنت: «تحجبي!»، ينبغي أن نوضح لها فلسفة الحجاب، آثاره النفسية، وحكمته الدينية، ونستعين بمتخصصين عند الحاجة، سواء في موضوع الحجاب، المخدرات، الإعلام الفاسد، الصلاة، وغيرها.

مثال: إذا رأيت ابنك يسمع الأغاني أو يدخّن، بدلًا من أن تقول له :«هذا حرام، توقف فورًا!»، جرب أن تسأله: «لو كنت نائمًا، ثم رأيتُ عقربًا متجهة نحوك، هل أسكت أم أوقظك لتنقذ نفسك؟»، وحين يختار أن تُوقظه، أخبره:« إذًا، أنا لا أنصحك عبثًا، بل لأنني أرى خطرًا عليك وأريد حمايتك منه»، ثم استشهد بالآية الكريمة: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [١٣]، لتوضيح أن كل عمل سيئ سيعود على صاحبه بالعواقب.

◆ استخدام لغة الجسد في الحوار: عندما تخاطب ابنك، انظر إليه مباشرة، لا وأنت مشغول بالهاتف أو التلفاز. فالتواصل البصري يزيد من تأثير النصيحة ويشعره بأهميته

عندك. مثال: إذا كنت تتحدث مع ابنك عن أمر مهم وهو يستخدم هاتفه، لا تقل له بغضب: «أغلق الهاتف واسمعني!» ، بل توقف عن الكلام وانتظر أن يلاحظ صمتك، ثم قل له بهدوء: «أريدك أن تستمع لي لأنني أرى أن هذا الأمر مهم جدًا لك».

خصص وقتًا يوميًا للحوار مع ابنك: إن من الأخطاء الشائعة أن الآباء يجدون الوقت الكافي للحديث مع الأصدقاء أو العائلة، لكن ليس لأولادهم! فإذا كان الأب مشغولًا طوال الوقت، فمن الطبيعي أن يلجأ الابن إلى أصدقائه، وربما إلى أصدقاء السوء الذين يمنحونه الوقت والاستماع. مثال : إذا طلب ابنك الحديث معك، لا تجبه دائمًا بـ: «أنا مشغول!»، بل امنحه وقتًا خاصًا، حتى لو كان ١٠ دقائق يوميًا، فهذا يبني جسرًا قويًا بينكما يمنعه من اللجوء إلى غيرك.

٥. تَجَنَّبِ الْغَضَبَ فِي تَعَامُلِكَ

الغضب غير المنضبط يُفسد العلاقات، ويخلق فجوة بين المربي وولده. فحتى لو امتلك شخص صفات إيجابية كثيرة، لكنه كان سريع الغضب وغير قادر على التحكم بانفعالاته، فمن الطبيعي أن يبتعد عنه الآخرون وألا يختاروه صديقًا مقرّبًا، بل يتعاملون معه بسطحية ودون ثقة. وهذا الأمر ينطبق تمامًا على علاقة الآباء بأبنائهم؛ فكلما تعامل المربي مع ولده بعصبية وانفعال زائد، كلما شعر الابن بفقدان الأمان العاطفي في العلاقة، وبدأ ينظر إلى والده أو والدته كسلطة أبوية فقط وليس كصديق يمكن اللجوء إليه.

مثال: إذا طلبت أم من ابنتها أن تعتبرها صديقة مقرّبة، ثم جاءت الفتاة ذات يوم وأخبرتها بسر خطير بأنها تعرضت للتحرش عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وانخدعت بأحد الأشخاص وأرسلت له صورها، فكيف ستكون ردة فعل الأم؟

✦ إن صرخت في وجهها، وانهالت عليها بالتوبيخ والعقاب القاسي، فسيكون رد فعل الفتاة هو إغلاق قلبها تمامًا، والندم على إخبار أمها، وربما تلجأ لأصدقائها، الذين قد لا يكونون أهلًا للنصح.

✦ أما إذا استمعت إليها بهدوء، واحتوتها، وأظهرت استياءها من السلوك لا من شخصيتها، فستظل الفتاة ترى في والدتها

ملجأها الأول، وستكون أكثر استعدادًا للاستماع إلى نصائحها.

قد تقول بعض الأمهات: كيف لا أغضب؟ هل تريدونني أن أوافق على سلوك ابنتي المنحرف؟

وهنا نقول: لماذا تُضيّقون الخيارات بين الغضب والقبول بالسلوك المنحرف؟ هناك خيار ثالث، وهو التعامل معها بلطف وحكمة، وهذا هو منهج محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في التعامل مع أخطاء الأولاد، يروى: «إن فتى شابًّا أتى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال: (ادنه)، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: (أتحبه لأمك؟)، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)، إلى أن قال: (أتحبه لابنتك؟) (أتحبه لأختك؟) (أتحبه لخالتك؟) (أتحبه لعمتك؟)، وفي كل مرة كان يقول الفتى: (لا والله، جعلني الله فداءك)، فوضع الرسول يده عليه، وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فَرْجَه)، فلم يكن بعد -ذلك الفتى - يلتفت إلى شيء».[١٤]

قد تتمنى إحداكن لو كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حاضرًا ليدعو لابنها، لكن الحل يكمن في اتباع منهجه التربوي في مصاحبة الأبناء، والاستفادة من الرواية بأن الغضب والانفعال

ليسا دائمًا الأسلوب الأمثل في توجيه الأبناء، وأن الحوار المقنع، الذي يراعي مشاعر المخطئ، أكثر تأثيرًا من التوبيخ والصراخ، وأن الدعاء للأبناء بالهداية هو جزء من التربية الصحيحة، وليس مجرد توبيخهم على الأخطاء، إلى جانب التوسل بأهل البيت عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ ليغفروا ذنبه، ويطهّروا قلبه، ويحفظوه من الزلل. فهم يسمعون دعاءنا، لذا نقول في زيارتهم عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ: «أشهد أنك تسمع كلامي وتردّ سلامي». وقد أمرنا الله بالتوسل بهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمۡ جَاءُوكَ فَاسۡتَغۡفَرُوا اللَّهَ وَاسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ .[١٥]

وأنتِ أيتها الأم عندما ترتكب الفتاة خطأ، كالتواصل مع شخص غريب على مواقع التواصل الاجتماعي، فبدلًا من الصراخ والعقاب، يمكن للأم أن تحاورها بهدوء قائلة:

« ابنتي، احذري من الرجال الغرباء، فهم لا يتواصلون مع الفتيات إلا بغرض استغلال مشاعرهن. حيث يبدأ الأمر بالتعارف البريء، ثم يطلب المخادع التعرّف عليها، ثم يستدرجها في الكلام ويخبرها بإعجابه بها، ثم يطلب منها صورة ثم صورتين وثلاث، ثم تتطور الأمور إلى فتح الكاميرا سرًا، ليحتفظ بالمقاطع والصور، ويستخدمها لاحقًا للابتزاز والتهديد، فيجعل الفتاة رهينة لنزواته، مجبرة على تنفيذ رغباته، أو حتى دفع الأموال تجنبًا للفضيحة. وصدق الشاعر حينما

قال[١٦]: نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ « فكلامٌ فموعدٌ فلقاء» .

لتوضح الأم لها كيف يمكن للعلاقة أن تبدأ بكلمة، لكنها تنتهي بخسائر كبيرة، ومدى أهمية تطبيق التعاليم الدينية التي نهت المرأة عن محادثة الرجل خوفاً من الوقوع في الحرام ولو بالانجرار إليه شيئا فشيئا[١٧]. ولتحذر أبنتها أيضاً من منح ثقتها لشخص لمجرد أن قلبها ارتاح له، فالحياة مليئة بالفخاخ، وأنتِ أثمن من أن تكوني ضحية لخداع زائل، روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: « لا تثق بأخيك كل الثقة فإن صرعة الاسترسال لن تستقال»[١٨]، فقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «فإن صرعة الاسترسال لن تستقال»: أي أن الإفراط في الانفتاح والاطمئنان التام قد يؤدي إلى سقوط لا يمكن التراجع عنه أو إصلاحه بسهولة.

أيتها الأم عندما تختارين الحوار الهادئ مع ابنتكِ، فإنكِ لا تقدمين لها النصح فقط، بل تحافظين أيضًا على علاقتكِ القوية بها، مما يجعلها أكثر تقبلًا لكلامكِ. أما القسوة والشدة، فقد تؤدي إلى عكس المطلوب، فتجعلها تنفر منكِ وترفض توجيهاتكِ. وقد أشار الله تعالى إلى أهمية اللين في التعامل، فقال: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ .[١٩]

لكن في الوقت نفسه، لا يعني ذلك التساهل مع الأخطاء أو التغاضي عن المعاصي، بل يجب إظهار الاستياء بأسلوب حكيم

حتى لو تطلّب الأمر إظهار الكراهة بالقول والفعل، وهذا ما أكد عليه الفقهاء، ومنهم: سماحة السيد السيستاني (دام ظله) بقوله: (يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... -إلى أن يقول -نعم، وجوب إظهار الكراهة قولاً أو فعلاً من ترك الواجب أو فعل الحرام عيني لا يسقط بفعل البعض، -ثم يذكر سماحة السيد السيستاني (دام ظله الشريف) هذا الحديث- روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّه قال: «أَمَرَنَا رَسُوْلُ الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- أَنْ نَلْقَىٰ أَهْلَ المَعَاصِيْ بِوُجُوْهٍ مُكْفَهِرَّةٍ»[٢٠]).[٢١]

٦. أَرِهِ اهْتِمَامَكَ

الصداقة الحقيقية تقوم على الاهتمام المتبادل، فإذا شعر الصديق بأن صديقه لا يهتم به، فإنه سيبدأ بالانسحاب عنه تدريجيًا. وهذا الأمر نفسه ينطبق على علاقتنا بأولادنا؛ فإذا أردنا أن يقبلونا كأصدقاء ثقة، فعلينا أن نشعرهم بمدى اهتمامنا بهم، وليس فقط بتوفير احتياجاتهم المادية. وقد أشار الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أهمية هذا الجانب بقوله: «من اهتمّ بك فهو صديقك».[٢٢]

قد يقول بعض الآباء والأمهات :« نحن نهتم بأولادنا، فنعمل ساعات طويلة لتأمين احتياجاتهم المادية، ونوفر لهم أفضل الملابس، وأحدث الأجهزة، ونلبي كل طلباتهم!» لكن رغم ذلك، نجد أن كثيرًا من الأبناء يشتكون من عدم اهتمام آبائهم بهم! فكيف يجتمع الأمران؟ ولماذا يشعر الأبناء بعدم الاهتمام رغم كل ما يُقدَّم لهم؟

الجواب: الأولاد يحتاجون إلى الاهتمام المعنوي أكثر من المادي

نعم، الأطفال والمراهقون يحبون أن توفر لهم الأموال وتشترى لهم الهدايا، ولكن الاهتمام الحقيقي ليس فقط في إشباع رغباتهم المادية، بل في إشباع احتياجاتهم النفسية والعاطفية.

فالاهتمام الذي يبحثون عنه هو:

✓ من يستمع إلى همومهم ويواسيهم في أحزانهم.

✓ من يشاركهم في أفراحهم وهواياتهم وطموحاتهم.

✓ من يساعدهم في حل مشاكلهم، ويشاورهم، ويوجههم للصواب دون فرض أو قمع.

✓ من يشعرهم بالأمان والطمأنينة من خلال غرس الإيمان في قلوبهم، وتعريفهم بالله ونبيه وأئمتهم. روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أنه نظر إلى بعض الأطفال فقال: «ويل لأطفال آخر الزمان من آبائهم» فقيل: يا رسول الله، من آبائهم المشركين؟ فقال: «لا من آبائهم المؤمنين، لا يعلمونهم شيئا من الفرائض، وإذا تعلموا أولادهم منعوهم، ورضوا عنهم بعرض يسير من الدنيا، فأنا منهم برئ وهم مني براء».[٢٣]

ولكن عندما لا يجد الأبناء هذا الاهتمام من آبائهم، فإنهم يبحثون عنه في أماكن أخرى، وغالبًا في مصادر مضللة. لذا نرى الكثير منهم ينتمون إلى لاعب مشهور، أو مغني فاسد، أو شخصية تافهة على مواقع التواصل الاجتماعي، لأنهم يبحثون عن الانتماء والقدوة في مكان آخر، في حين أن وظيفة المربي الحقيقية هي الاهتمام بولده وانتشاله من الضياع، ويوجهه إلى الطريق الصحيح.

٧. شَارِكْهُ مَوَاهِبَهُ وَأَلْعَابَهُ

الصداقة تُبنى على المشاركة والاهتمام الحقيقي. فعندما يجد الطفل أو المراهق شخصًا يشاركه اهتماماته، ويلعب معه، ويُظهر له الحماس تجاه هواياته، فإنه ينجذب إليه أكثر، ويشعر بأنه الأقرب إليه مقارنةً بأي شخص آخر. لهذا السبب، فإن مشاركة المربي لولده في مواهبه وألعابه تعدّ من أقوى الوسائل لبناء علاقة قائمة على الصداقة والثقة.

لماذا المشاركة في الألعاب والمواهب مهمة؟

- لأن اللعب هو لغة الأطفال والمراهقين، ومن خلاله يعبرون عن أنفسهم، ويشعرون بالراحة والمرح.
- لأنها تعطي فرصة ذهبية للمربي للتفاعل مع ولده بطريقة طبيعية، دون أن يكون دوره مقتصرًا على إعطاء الأوامر والتوجيهات.
- لأنها تفتح أبواب الحوار، وتجعل الولد أكثر تقبلًا للنصح والتوجيه.

قد يقول بعضهم: أنا مشغول، لا أملك وقتًا للعب مع ابني!

لكن هل يوجد شخص أكثر انشغالًا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قائد الأمة الإسلامية، والمسؤول عن نشر

رسالة السماء؟ ورغم ذلك، كان يلاعب الحسنين عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، ويُظهر لهما الحب والاهتمام. وقال: «من كان له صبي فليتصابَ له» [٢٤]، بل كان ينحني لهما ليجعلهما يركبان على ظهره ويمشي بهما[٢٥]، مما يعكس الاهتمام العميق بمشاعر الأطفال وسعادتهم.

أمثلة عملية لكيفية مشاركة الأبناء في الألعاب والمواهب.

✓ **إذا كان ابنك يحب الألعاب الإلكترونية: خصص وقتًا ولو قليلًا لتلعب معه، ليس فقط لتقوية علاقتك به، بل أيضًا لتتعرف على نوعية اللعبة التي يلعبها، ومدى صلاحيتها له. فهناك ألعاب تُنمّي الذكاء، وأخرى قد تحتوي على مضامين غير مناسبة. من خلال المشاركة، يمكنك تقديم النصح بطريقة غير مباشرة، بدلًا من إعطائه أوامر بحذف اللعبة دون أن تفهم طبيعتها.**

✓ إذا كانت ابنتك تحب الرسم أو الأعمال اليدوية: بدلاً من تجاهل ذلك، يمكنك الجلوس معها، وسؤالها عن أعمالها، وربما تحاول تنفيذ بعض الرسومات البسيطة بجانبها، فهذا يشعرها بأنكِ مهتمة حقًا بما تحب، وليس فقط بمراقبة تصرفاتها.

✓ إذا كانت ابنتك تحب الخَبز أو الطهو: شاركيها في إعداد وجبة خفيفة، اجعليها تشعر أنكِ تستمتعين معها، وليس فقط أنكِ تعلمينها.

ولكن كيف تؤثر هذه المشاركة على نفسية الولد؟

✓ تعزز شعوره بالانتماء للأسرة، فيبحث فيها عن السعادة بدلًا من اللجوء إلى الغرباء.

✓ تجعله أكثر راحة في الحديث عن مشاكله، لأنه يراك قريبًا منه بالفعل.

✓ تعطيه مساحة ليعبر عن نفسه بحرية، مما يساعدك على فهمه بشكل أعمق.

في النهاية، إذا لم تجد وقتًا لمشاركة ابنك في اهتماماته، فلا تستغرب إذا وجد شخصًا آخر يشاركه ويصبح أقرب إليه منك!

٨. كُنْ حَافِظًا لَهُ

الصداقة الحقيقية لا تكتمل إلا بالحفظ والرعاية، فكما أن الإنسان يبحث عن صديق يحفظه في جميع حالاته، فإن الأبناء يحتاجون إلى والدين يحفظونهم في أزماتهم، وفي غيبتهم، وحتى بعد رحيلهم. وقد بيّن الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذا المبدأ بقوله: «لا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ: فِي نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفَاتِهِ»[٢٦]، وهذا يعني أن الصديق الحقيقي يكون عونًا لصديقه في الشدة، مدافعًا عنه في غيابه، وذاكرًا له بالخير حتى بعد وفاته.

كيف يحفظ المربي ولده؟

الحفظ في النكبة: مساندة الولد في مشاكله ومصائبه كما أن الصديق الحقيقي لا يترك صديقه عند وقوعه في المصائب، كذلك يجب على المربي أن يكون حاضرًا مع ولده في الأوقات العصيبة، لا مجرد ناقدٍ ومتفرج. فحين يواجه الابن مشكلة في المدرسة، أو صدمة عاطفية، أو موقفًا صعبًا مع أصدقائه، أو حتى شعورًا بالإحباط والفشل، فهو بحاجة إلى أب أو أم يواسيانه، يدعمانه، ويوجهانه لحل المشكلة بدلًا من توبيخه أو التقليل من شأنه.

مثال: إذا جاء ابنك إليك حزينًا لأنه رسب في اختبار، فبدلًا

من لومه واتهامه بالإهمال، جرب أن تقول له: «أعلم أنك تشعر بالإحباط الآن، لكن هذه ليست نهاية العالم، دعنا نفكر معًا كيف يمكننا تحسين أدائك في المرات القادمة».هذا الأسلوب يجعله يشعر أنك سندٌ له، بدلًا من أن يراك خصمًا يزيد من معاناته.

الحفظ في الغيبة: الدفاع عنه أمام الآخرين كما أن الصديق الوفي لا يسمح لأحد بذكر صديقه بسوء في غيابه، كذلك يجب على المربي أن يدافع عن ولده إذا سمع من ينتقصه أمام الآخرين. فقد أكد الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن من أهم معايير الصداقة أن يحفظ الإنسان صديقه في غيبته، فلا يسمح لأحد بانتقاصه أو السخرية منه دون أن يرد عليه.لكن هذا لا يعني أن يدافع المربي عن ولده حتى لو كان مخطئًا،

بل يجب أن يكون منصفًا وعادلًا، فيعلمه الصواب والخطأ بأسلوب غير منفّر.

مثال: إذا سمعت أحدهم يقول عن ابنك:« ابنك فاشل في دراسته، ولن ينجح أبدًا!»، يمكنك الرد عليه بحزم دون أن تنكر الواقع، فتقول:«ابني يمر بمرحلة يحتاج فيها إلى الدعم، وأنا واثق أنه سيتحسن بإذن الله».

أما إذا كان ابنك قد أخطأ بالفعل وانتشر الخبر بين الناس، فلا ينبغي الدفاع عنه دفاعًا أعمى، بل يمكن أن تقول: «نعم، لقد أخطأ، لكنني سأعمل على توجيهه وإصلاح سلوكه» بهذا الأسلوب، تدافع عنه دون أن تغطي على أخطائه، بل تجعله يشعر أنك تنصفه حتى في غيابه.

الحفظ بعد الوفاة: اصلة العطاء للولد كما أن الصديق الوفي لا ينسى صديقه بعد رحيله، فإن المربي الصديق لا ينسى ولده حتى بعد وفاته، بل يستمر في التواصل معه بإهدائه ثواب الأعمال الصالحة، والدعاء له، والتكفير عن ذنوبه، وقضاء ما فاته من واجبات شرعية.

مثال: رجل توفي ولده فجأة، لكنه لم ينسه بعد وفاته، فحرص على أن يصوم عنه الأيام التي كان عليه قضاؤها، وتبرع بصدقة جارية باسمه، وقرأ القرآن ليهدي ثوابه له.

٩. تَجَنُّبِ انْتِقَاصَهُ

الصداقة تقوم على الاحترام والتقدير، فكما أن الصديق إذا شعر بأن صديقه ينتقص منه أو يستخف به، فإنه سينفر منه ويرفض صداقته، فإن الابن إذا أحس أن والديه يقللان من شأنه أو يسخران منه، فلن يراهما كصديقين، بل كسلطةٍ أبويةٍ فقط، ولن يكون لكلامهما تأثير عليه بقدر تأثير أصدقائه.

بل الأسوأ من ذلك، أن بعض المراهقين حينما يسمع أن أحد والديه ينتقص منه، يشعر بالحزن والغضب، وبدلًا من أن يُصلح نفسه، فإنه يحاول الانتقام منهم بعنادهم والتمرد عليهم. ومن هنا، فإن احترام المربي لولده وعدم التقليل من شأنه هو أحد الركائز الأساسية لبناء صداقة قائمة على الثقة والقبول المتبادل.

إنّ أبرز صور الانتقاص التي يجب تجنبها:

التوقف عن ذم الولد وإحباطه: هناك آباء وأمهات يعتقدون أن انتقاد ولدهم بأسلوب جارح سيدفعه ليصبح أفضل، لكن العكس هو الصحيح! فالطفل أو المراهق الذي يسمع من والديه كلمات محبطة وبالأخص أمام الآخرين، مثل: «أنا أعرف أنك غبي وكسلان ولا خير فيك»، أو «أنك لن تنجح أبدًا، مستواك ضعيف!»، أو «كل إخوتك أفضل منك، لماذا أنت مختلف؟»، سيفقد الثقة بنفسه، ويشعر بأن

والديه يرفضانه، وليس فقط سلوكه. والأسوأ من ذلك، أنه سيتوقف عن محاولة التحسن، لأنه يشعر أن جهوده لا تُقدَّر، وسيلجأ لمن يمنحه الدعم والتشجيع، وغالبًا ما يكون أصدقاءه، لا والديه.

مثال: إذا كان ابنك ضعيفًا في مادة دراسية معينة، فلا تقل له: «لن تفلح أبدًا!»، بل جرب أن تقول: «أنا واثق أنك قادر على التحسن، تعالَ لنبحث معًا عن طريقة لمساعدتك». بهذا الأسلوب، تشجعه بدلًا من أن تحطمه.

◆ الابتعاد عن أسلوب المقارنة مع الآخرين:

المقارنة بالآخرين من أكثر الأساليب التربوية تدميرًا لشخصية الطفل والمراهق. فحين يقول المربي لولده: «انظر إلى فلان، إنه أفضل منك في كل شيء!»، أو «أخوك أشطر منك، لماذا لا تكون مثله؟»، فهذا يشعر الولد بأنه أقل شأنًا من الآخرين، ويولد لديه مشاعر الدونية، الحقد، والحسد، مما يدفعه إما للتمرد أو الانطواء.

إنّ المقارنة المقبولة هي مقارنة المراهق بنفسه. فبدلًا من أن تقول: «فلان أفضل منك»، قل له: «ألاحظ أنك كنت أكثر اجتهادًا العام الماضي، ماذا حصل هذا العام؟ كيف يمكننا تحسين مستواك؟»، أو أن تقارنه بمن وجب علينا الاقتداء بهم وهم محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بشرط أن يسبق المربي ولده في

الاقتداء بهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

مثال آخر: تجلس الأم بجانب ابنتها، تضع يدها برفق على كتفها وتقول:«ابنتي العزيزة، تعلمين أن كل فتاة تحب أن تكون جميلة، وهذا شيء طبيعي، لكن الجمال الحقيقي هو الذي تحميه العفة، وليس الذي يُعرض أمام الأعين. دعيني أخبرك عن قدوتنا، السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، التي كانت مثالًا للعفة والحياء. كانت شديدة الحرص على ستر نفسها، حتى إنها في حياتها لم تكن تخرج إلا بستر كامل، وحرصت على أن لا يراها أحد. ولم يقتصر حياؤها على حياتها فقط، بل حتى بعد وفاتها فكرت في كيفية الحفاظ على عفتها، فطلبت أن يُصنع لها تابوت مغلق، يشبه الصندوق، حتى لا تظهر تفاصيل جسدها حين يُغطّى بالكفن، لأنها لم تكن تريد أن تُرى حتى بعد الموت».

ثم تنظر الأم إلى ابنتها بلطف وتتابع: «ابنتي، نحن قد لا نستطيع أن نصل إلى مرتبتها في العفة، لكنها قدوتنا، ونحن نحاول أن نقتدي بها قدر استطاعتنا. فإذا كانت عَلَيْهَا السَّلَامُ قد حرصت على الستر حتى بعد رحيلها، أفلا يجب علينا نحن، ونحن أحياء، أن نحفظ أنفسنا من أن نكون عرضة لنظرات الغرباء؟ لا أطلب منكِ أن تنعزلي عن المجتمع، لكن على الأقل، فلنستر زينتنا، ولنحفظ حياءنا، ولا نجعل مظهرنا ملفتًا أمام الرجال الأجانب. لأن العفة ليست فقط في اللباس، بل في

التصرف والنظرات والكلمات. فكلما ازددنا حياءً، ازددنا قيمةً واحترامًا في أعين الناس، وقبل ذلك، في عين الله عز وجل». ثم تبتسم الأم بحنان وتقول: «فكري قليلًا، أي امرأة تُحترم أكثر؟ تلك التي تحافظ على حيائها، أم التي تُظهر زينتها أمام الجميع؟ من تحترم نفسها، سيحترمها الناس، ومن تستخف بنفسها، سيعاملها الآخرون باستخفاف. فاختاري لنفسكِ ما يجعلكِ عظيمة في الدنيا والآخرة».

❖ **تجنب إفشاء أسرار الأبناء:** كما أن الصديق الذي يفشي أسرار صديقه لا يمكن الوثوق به، فإن المربي الذي يفشي أسرار ولده يفقد مكانته كصديق في نظره. فقد روي عن الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «جمع خير الدنيا والآخرة في كتمان السرّ ومصادقة الأخيار، وجمع الشرّ في الإذاعة ومؤاخاة الأشرار». (٢٧)

❖ مثال: أم تشكو أمام صديقاتها أن ابنها المراهق أخبرها بسرٍ ما، ثم تكشف هذا السر أمام الآخرين. أو أب يُحرج ابنته بذكر أخطائها أمام العائلة. هذا السلوك يجعل الأبناء يفقدون الثقة بوالديهم، ويكفون عن مشاركتهم بمشاعرهم وأسرارهم.

المصيبة الأكبر أن بعض الأمهات عندما يغضبن من أولادهن، فإنهن يفرغن غضبهن بالشكوى أمام الآخرين، والتحدث عن عيوب أبنائهن بصوتٍ عالٍ، حتى يسمعهم الولد نفسه!

وهذا الأمر مؤلم جدًا للطفل أو المراهق، لأنه يشعر أنه مفضوح أمام الآخرين، وأن والدته لا تحترمه ولا تحافظ على كرامته.

وقد يصل الأمر إلى حد الغيبة المحرمة شرعًا! إذ لا يجوز للوالدين غيبة أبنائهم بعد بلوغهم سن التمييز، لأنهم أصبحوا يفهمون ويتأذون، وكفارة هذه الغيبة أن يستغفر الوالد لولده، أو يطلب منه السماح.

◆ مثال: بدلًا من أن تفضح ابنك أمام الآخرين، حاول أن تعاتبه بينك وبينه، وتقول له بهدوء: « أنا مستاء مما فعلته، وأريد أن نتحدث عن الموضوع بعيدًا عن الآخرين ». بهذا الأسلوب، تحافظ على كرامته، وفي نفس الوقت توجهه للصواب.

سؤال: هل يجوز للأم أن تتكلم عن أخطاء ابنها بحضوره؟

بعض الأمهات يعتقدن أنهن لم يرتكبن الحرام لأن الغيبة فقط تكون في غياب الشخص، لذلك تقول إحداهن: «أنا لم أغتب ابني، بل قلت كلامي أمامه، إذن فهو ليس غيبة!».

صحيح أن التحدث عن الشخص أمامه لا يُسمى غيبة، لكنه قد يكون إهانة واستخفافًا به، وكلاهما محرمان شرعًا! فالمؤمن لا يجوز أن يُهان أو يُستخف به، حتى لو كان ولدًا صغيرًا.

وينبغي للولد أن يسامح والديه ولا يتزمت ولا يعقهما ولو

كانا ظالمين، فقد روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برّين كانا أو فاجرين».[٢٨]

أي أن الولد يجب أن يبرّ والديه حتى لو كانا مخطئين وظالمين له. لكن هذا لا يعفي الوالدين من مسؤوليتهم في احترام أبنائهم، وعدم التقليل من شأنهم أمام الآخرين.

الخلاصة: إذا شعر الابن أن والديه يحترمانه، ويحفظان كرامته، ولا ينتقصان منه، فسيجد فيهما الصديق الأقرب، ولن يحتاج للبحث عن بديل في الخارج.

١٠. اسْتَشِرْهُ وَشَارِكْهُ الْقَرَارَ

عندما يشعر الإنسان أن رأيه محل تقدير، تنمو ثقته بنفسه، ويشعر بقيمته في نظر من حوله. وهذا الأمر ينطبق على الأطفال والمراهقين أيضًا، فكما يعتز الإنسان بالصديق الذي يستشيره، كذلك يشعر الطفل أو المراهق بأهميته عندما يستشيره والده أو والدته، فيدرك أنه جزء من العائلة وليس مجرد متلقٍّ للأوامر.

لذلك، من الضروري أن يتعامل المربي مع ابنه وكأنه مستشار مقرب، يمنحه فرصة لإبداء رأيه والمشاركة في اتخاذ القرارات، كما ورد في الحديث النبوي:« الولد سيد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين سنة وإلاّ ضُرِب على جنبيه فقد أعذرت إلى الله».[٢٩]

فالمرحلة الأخيرة هي مرحلة التعامل مع الابن كوزير يُستشار، وليس مجرد تابع يتلقى التوجيهات.

يمكن للمربي أن يُظهر لابنه احتياجه لمشورته بطريقة لطيفة، فيسأله مثلًا: «ما رأيك يا بني، هل أشتري لصديقي المريض باقة ورد أم علبة شوكولاتة؟»، أو «لدي موعدان مهمان، أيُّهما أقدّم؟»، أو حتى في أمور ذات بُعد ديني، كأن تقول الأم لابنها: «ماما، أريد أن نعرّف الناس بقضية الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأفكر في طباعة منشورات قصيرة عن نهضته المباركة، فهل لديك أفكار

أخرى يمكن أن تضيفها؟». هذه الاستشارة، حتى لو بدت بسيطة، ستجعل الطفل والمراهق يشعر بأنه ذو قيمة، وسينمو لديه حس المسؤولية تجاه القضايا المهمة.

قد يقول بعض المربين: «لكن ابني ما زال صغيرًا، هل يعقل أن أستشيره؟» والجواب أن الشريعة والتربويين شددوا على أهمية استشارة الأبناء، ليس لأنهم يمتلكون الحلول دائمًا، ولكن لأنها تنمّي ثقتهم بأنفسهم، وتقوّي علاقتهم بوالديهم، كما أن النقاش يوسّع مداركهم، ويُعرّف المربي بطريقة تفكيرهم، مما يساعده على تصحيح المفاهيم الخاطئة لديهم.

ولنا في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة. فرغم كونه أعلم البشر وأحكمهم، كان يستشير أصحابه وزوجاته، ليس لحاجته إلى آرائهم، بل ليعلمنا أهمية الاستشارة في بناء الثقة والتقدير بين الناس. فقد أمره الله تعالى بذلك في قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٣٠]، ليكون قدوة في التشاور واحترام آراء الآخرين.

وهذا درس مهم للمربين؛ فاستشارة الأبناء تمنحهم شعورًا بالثقة والمسؤولية، وتجعلهم أكثر انفتاحًا على الحوار. فإذا كان النبي، وهو المعصوم، يستشير من حوله ليحفزهم ويشعرهم بقيمتهم، فكيف بنا نحن في تعاملنا مع أبنائنا؟ يكفي أن نقول

للطفل أو المراهق: «ما رأيك في هذا الأمر؟ كيف ترى الحل؟»، حتى يشعر بأهميته، ويصبح أكثر تجاوبًا مع توجيهاتنا.

على سبيل المثال: إذا قالت الأم لابنها:« ماما، أشعر بالملل، ما رأيك كيف أقضي وقتي؟»، فقد يكون جوابه غير صائب، كأن يقول:« استمعي إلى الأغاني، ستشعرين بالسعادة»، هنا، لا ينبغي للأم أن تتجاهل جوابه، بل تستغل الفرصة لتوجيهه برفق، فتقول:«لا، ماما، كيف أجد السعادة فيما يغضب الله؟ ألم يقل الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إن بيت الغناء لا تُؤْمَنُ فيه الفجيعة، ولا يدخله الملك، ولا تُسْتَجَابُ فيه الدّعوة»[٣١]؟».

بل السعادة الحقيقية تأتي من ذكر الله، كما قال تعالى:﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣٢]، لذلك، أفكر في قراءة القرآن أو بعض الأدعية، أو حتى التوسل بأهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، فمصائبهم تهوّن علينا كل الأحزان. ألم يقل الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «ذكرنا أهل البيت شفاء من العلل والأسقام ووسواس الريب»[٣٣]؟، ثم تكمل الأم حديثها في ذكر أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ. بهذا الأسلوب، يصبح الحوار مع الأبناء فرصة ذهبية للتعليم والتوجيه، بدلًا من أن يكون مجرد نقاش عابر، كما أن إشراكهم في اتخاذ القرارات يشعرهم بأنهم أفراد مؤثرون، مما يعزز علاقتهم بوالديهم، ويجعلهم أكثر استعدادًا للاستماع إليهم والتأثر بتوجيهاتهم.

الخَاتِمَةُ

بعد استعراض مفهوم الصداقة الأبوية وبيان أهميتها في ميزان الشريعة الإسلامية، والتطرق إلى الخطوات العملية التي تساعد الوالدين في بناء علاقة قائمة على الحب والاحترام مع أبنائهم، يتضح أن تحقيق هذه الصداقة ليس أمرًا مستحيلًا، بل هو نهج تربوي يحتاج إلى وعي وتطبيق مستمر.

إن بناء جسور الثقة بين الوالدين والأبناء لا يقتصر على مرحلة عمرية معينة، بل هو عملية مستمرة تبدأ منذ الطفولة وتستمر حتى مراحل النضج، مما يجعل الأبناء أكثر استعدادًا للاستماع والتفاعل بإيجابية. كما أن وجود والد صديق ومُربٍّ حكيم يخلق بيئة أسرية مستقرة تُعزز القيم والمبادئ السليمة.

نأمل أن يكون هذا الكتيب قد ألقى الضوء على أساليب فعالة لتعزيز الصداقة بين الوالدين وأبنائهم، وأن يُسهم في تحسين العلاقات الأسرية، وجعلها أكثر قوة وترابطًا، بما يحقق السعادة والطمأنينة للأسرة والمجتمع بأسره.

الهَوَامِشُ

(١) بحار الأنوار -العلامة المجلسي -ج ١٠١-ص ٩٥.
(٢) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع) -ص٥٨٦.
(٣) مصادقة الإخوان-الصدوق -ج١-ص٣٠.
(٤) عيون الحكم والمواعظ-الواسطي -ص ٦٣.
(٥) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج١٦-ص٢٦٣.
(٦) الخير والبركة في الكتاب والسنة -محمد الريشهري -ص ٩٢.
(٧) مروية عن عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب القرشي، وخالد بن صفوان القناص.
(٨) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع) -ص٥٨٦.
(٩) أمالي الطوسي-ح ٦– ص٦٠٩.
(١٠) بحار الأنوار -العلامة المجلسي -ج ٤٣ -ص ١٧٢.
(١١) ميزان الحكمة -محمد الريشهري -ج ٢ -ص ١٥٧٤.
(١٢) ميزان الحكمة-الريشهري -ج ٢-ص١٥٨٩.
(١٣) الزلزلة/٧.
(١٤) سنن أحمد بن حنبل-ج٥-ص ٢٥٦.
(١٥) النساء/٦٤.
(١٦) منسوب للشاعر أحمد شوقي.
(١٧) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org/ الاستفتاءات/ الإنترنت.
(١٨) الكافي -الشيخ الكليني -ج ٢ -ص ٦٧٢.
(١٩) آل عمران/١٥٩.
(٢٠) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٥-ص ٥٩.
(٢١) المسائل المنتخبة-السيد السيستاني-باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (مسألة ٦٣١).
(٢٢) موسوعة أحاديث اهل البيت ع –الشيخ هادي النجفي-ج ٦-ص٤٠.

(٢٣) مستدرك الوسائل -الميرزا النوري -ج ١٥ -ص ١٦٤.
(٢٤) الفقيه-الصدوق -ج ٣ -ص ٤٨٣ -٤٧٠٧.
(٢٥) مناقب آل أبي طالب -ابن شهر آشوب -ج ٣ -ص ١٥٨.
(٢٦) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة ع -الحر العاملي-ج٥-ص١٣٩.
(٢٧) بحار الأنوار-العلامة المجلسي -ج ٧١-ص ١٧٨.
(٢٨) بحار الأنوار –العلامة المجلسي -ج ٧٤ -ص٥٦ -١٥.
(٢٩) وسائل الشيعة -الحر العاملي - ج ٢١ - ص ٤٧٦.
(٣٠) آل عمران/١٥٩.
(٣١) مستدرك الوسائل -الميرزا النوري -ج ١٣ -ص ٢١٣.
(٣٢) الرعد/٢٨.
(٣٣) المحاسن، أحمد البرقي -ج ١-ص ٦٢.

مَرْكَزُ الجَوَادَيْنِ لِلإِرْشَادِ الأُسَرِيّ

الأَمَانَةُ العَامَّةُ لِلعَتَبَةِ الكَاظِمِيَّةِ المُقَدَّسَةِ